هذه خلاصة وجيزة من تاريخ مدينتين من مدائن الشام لم نذكرها للفكاهة ولا لتهييج الشجا بل ليرى ابناء المشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة تردُّ غارات اليونان والرومان وان ما صلحت لهُ منذ مئات من الاعوام تصلح لهُ الآن اذا بذلت الهمة في اعادة العمران اليها

النار والسيف في السودان

حكم الخليفة واوصافهُ

لم يكد الخليفة عبدالله التعايشي يتربع في دست الخلافة حتى التفت الى بيت المال فطرد منهُ احمد ولد سليمان امينهُ لانهُ كان يوزع الاموال عَلَى اقارب المهدي بغير حساب ونصَّب فيهِ ابرهيم ولد عدلان وهو رجل هام خبير بضروب الكسب فنظم اساليب الدخل والنفقة واكثر الموارد عَلَى انواعها وضرب الريالات مازجاً فضتها بالنحاس ولما ابى التجار قبضها تهددهم الخليفة باخذ اموالهم وقطع ايديهم وارجلهم من خلاف فتعاملوا بها ولكنهم رفعوا اثمان البضائع والخليفة يحسب انهم اطاعوا اوامرهُ. وقد علم ولد عدلان هٰذَا كيف يعلي مقامهُ في عيني الخليفة ويكتسب رضاهُ وهو انهُ خصهُ واقاربهُ بالنصيب الاكبر مما في بيت المال فبقي مكرَّماً مسموع الكلمة . ثم لما زاد عتو الخليفة وطغيانهُ بدرت من ولد عدلان بادرة فاخذهُ بها وقتلهُ شرَّ قتلة كما سيجيء

وجمع قبائل العرب الآتين معهُ من الانحاء القريَّة وامرهم ان يكونوا عصبةً واحدةً والاَّ غلبهم البرابرة والجعالون وسكان الجزيرة . وجعل يصادر اقرباء المهدي ورجالهُ والخليفتين الآخرين ويزيد سطوةً واستبداداً يوماً فيوماً واذا درى ان الناس انتبهوا الى ذلك ولاموهُ عليهِ ولو في بواطنهم ارسل الى الخليفتين بعض الهدايا من الغنائم الَّتي كانت ترد اليهِ تباعاً كالجواري والخيول والبغال واوعز الى اقاربهِ ان يخبروا بذلك في كل مكان حتى يرسخ في النفوس انهُ كريم منفال ولا يتَّهمهُ احد بسوء

ولما رأى ان تلك الالوف المؤلفة من سكان السودان لا يمكن ان تقيم عَلَى ولائهِ طويلاً اذا اشتهر ظلمهُ او خانهُ دهرهُ بعث الى قبيلتهِ يحثها عَلَى المجيء اليهِ ليملكها البلاد الَّتي انعم الله عليهِ بها وغرضهُ الباطن ان يستعزَّ بقومهِ ويأمن بهم غدرات الزمان فجاؤهُ كلهم وغنموا

كل شيء التقوا بهِ في طريقهم من الجمال والبقر والحمير بل كانوا يجردون الرجال والنساء من ثيابهم وحلاهم ويأخذونها . وكان الخليفة قد انشأ لهم اهراء في طريقهم وملأها بالحبوب لهم ولماشيتهم . ولما بلغوا النيل كانت البواخر في انتظارهم فسارت بهم الى ام درمان . وقبل ان يدخلوها انزلهم الخليفة على الضفة اليمنى وبعث اليهم ثيابًا جديدة من بيت المال وجعل يأتي بهم الى ام درمان فرقًا فرقًا وطرد الناس من منازلهم بين الجامع والحصن وانزلهم فيها وامر تجار الحبوب ان يبيعوهم ما عندهم بالخمس الاثمان ومن ابى ذلك اخذ ما عندهُ غنيمةً فاضطر التجار ان يبيعوا ما عندهم بخمس ثمنهِ . ولم يقع مطر في العام السابق وجاء التعايشيَّة فاكلوا ما في البلاد من الحبوب المذخورة فيها فضرب الجوع اطنابهُ وارتفع ثمن اردب الذرة الى اربعين ريالاً ثم الى ستين ومات كثيرون جوعًا والذين لم يموتوا نحلت ابدانهم من قلة الطعام حتى لم يبقَ منهم الاَّ الجلد والعظم واكل الناس الجلود اليابسة وجيف الحيوانات بل اكل بعضهم بعضًا وباعوا اولادهم عبيدًا لكي ينجوهم من الموت وانتشرت جثث الموتى في طول البلاد وعرضها وليس من يدفنها . وانقرضت قبائل كثيرة حتى لم يبقَ منها احد . وكانت هذه المجاعة قاصرة على البلاد الخاضعة للخليفة اما البلاد المجاورة لها فكانت في رخاء ولذلك قام التجار من ام درمان وصعدوا في النيل جنوبًا الى فاشودا وصابات وجلبوا الذرة منهما ولولا ذلك لمات اكثر الاهالي . ثم هطلت الامطار فاحيت الارض والآمال ونمت المزروعات بسرعة مبشرة بالرخاء بعد الشدة ولكن لم يحن حصدها حتى جاءها الجراد فالتهم جانبًا كبيرًا منها .

واراد الخليفة ان يحتكر ما بقي ليطعمهُ لقبيلتهِ فاضطرَّ اصحابهُ ان يبيعوهُ لهُ بثمن بخس . وامر ابرهيم ولد عدلان امين بيت المال ان يمضي الى بلاد الجزيرة ويقنع اهاليها ليعطوهُ ما استغلوهُ من الذرة بغير ثمن فذهب مكرهًا لانهُ على ما بهِ من الجشع لم يكن يجيز الجور الى هذا الحد . وكان قد اثرى من بيت المال وكثر حسَّادهُ وخصومهُ فوشوا بهِ الى الخليفة انهُ نسب هذه المجاعة اليهِ والى سلبهِ الناس لاجل قبيلتهِ فاسترجعهُ الخليفة واستدعاهُ اليهِ ووبخهُ توبيخًا صارمًا . وكان ولد عدلان جسورًا ابيَّ النفس حاسبًا ان الخليفة لا يستغني عنهُ فقال لهُ ألي تقول هذا القول بعد ان خدمتك هذه السنين كلها ولكنني لا أخشى في الحق لومة لائم فاعلم انك بتفضيلك لقومك وحبك للاذى نفَّرت منك قلوب الذين كانوا يخلصون لك ولقد كنتُ دائمًا امينًا في خدمتك ولكن بما انك اصغيت الى اعدائي والى اخيك يعقوب الذي يكرهني فلا اقدر ان اخدمك بعدُ "

فاضطرب الخليفة من هذا الكلام وقال ان الرجل لم يتكلم بهذه الجرأة الاَّ ولهُ عزوة

في البلاد ولم يستعفِ من منصبهِ الاَّ وهو على ثروة طائلة . ولكنهُ اضمر الكمد واظهر الجلد وقال لهُ سانظر في امرك فدعني الآن وغدًا اردُّ لك الجواب . فخرج من حضرتهِ وقبل ان يبلغ الباب كان الخليفة قد صمم على الفتك بهِ فجمع الخليفتين والقضاة واخاهُ يعقوب واستدعى ولد عدلان وعنَّفهُ امامهم على جرأتهِ وقال لهُ انك انت ابعدت قلوب الناس عني ولكن الله عادل وسوف تلقى عاقبة ما جنت يداك . ثم امر الملازمين ان يمضوا بهِ الى السجن وامر باستصفاء اموالهِ فوجدوا في جيبهِ ورقة عليها اسم الخليفة وكتابة مبهمة مكتوبة بماء الزعفران فقال الخليفة انها سحر اراد ان يسحرني بهِ فحكم عليهِ بالقتل وقيد الى المشنقة فصعد اليها بقدم ثابتة واسلم الروح . وارسل الخليفة اخاهُ يعقوب الى جنازتهِ ليرى الناس انهُ لم يأخذهُ الاَّ بذنبٍ جناهُ ضد احكام الشريعة وانهُ هو غير حاقد عليهِ

وعلى ذكر القضاة نقول ان الخصومات تفصل في مجالس القضاء بحسب الشريعة المحمديَّة ومنشور المهدي واشارات الخليفة . ولكن اشارات الخليفة اي اوامرهُ واغراضهُ هي المحور الذي تدور عليهِ الاحكام . وهو لمكرهِ يدَّعي انهُ خاضع للشريعة كعامة الناس . واتفق مرَّةً ان صدَّقهُ احد الامراء في دعواهُ وكان قد عزلهُ من منصبهِ لانهُ رأى منهُ ميلاً الى غيرهِ فرفع شكواهُ الى مجلس القضاء وحضرهُ الخليفة كأنهُ من عامة الناس واجتمع خلق كثير ليروا اتضاعهُ وخضوعهُ للشريعة وعدل القضاة . فقال المدعي انهُ كان اميرًا على قبيلتهِ كل ايام المهدي وان الخليفة عزلهُ بلا سبب مع تعلُّق قبيلتهِ بهِ فظلمهُ وهو يطلب من القضاة ان ينصفوهُ . فقال الخليفة اني استدعيتهُ مرارًا كثيرة لامور ذات شأن فلم اجدهُ في بيتهِ ولا في الجامع وذلك دليل قاطع على انهُ يهمل شعائر الدين فعزلتهُ لهذا السبب . فحكم القضاة عليهِ بالجلد والسجن فجلدوهُ حتى سال دمهُ . وشاع في البلاد كلها ان الخليفة على رفعة مقامهِ لم يأنف من ان يحاكَم مثل سائر الناس . ولدهائهِ لم يترك هذه الفرصة تذهب سدًى فاستدعى الرجل في اليوم التالي وعفا عنهُ واهدى اليهِ جبةً وجاريةً فقبلهُ وعاد بالفخر

والقضاة طوع امرهِ بل طوع اشارتهِ وكأنهم يعرفون مقاصدهُ من غير ان يعرب لهم عنها فلا تأخذهم في مرضاتهِ لومة لائم ولا يراعون حقًّا ولا حرمةً ورئيسهم وهو القاضي احمد ولدعلي جمع بهذا السبيل ثروةً عظيمةً فكان عندهُ الف عبد يعملون في ارضهِ وكان لهُ من الخيل والجمال والغنم والبقر ما لا يحصى وكان في حرمهِ اجمل النساء واحسن الجواري فحسدهُ ابن الخليفة واخوهُ يعقوب على هذه النعمة بل حسدهُ الخليفة نفسهُ

وتربّص به الفرص للايقاع به ثم اتهمهُ بانهُ عمل على خلاف ما امرهُ به وحكم عليهِ بالسجن المؤبد وحبسهُ حيث حبس زكي طومال كما سيجيء فمات ميتتهُ وغنم الخليفة كل اموالهِ واخذ هو واخوهُ وابنهُ كل الحسان من نسائهِ وجواريهِ ووزعوا الباقيات على اتباعهم

وهٰذا شأنهُ مع كل من وفرت نعمتهُ او عظمت قوتهُ كما فعل مع الامير زكي طومال وهو من التعايشيَّة ومن الابطال المعدودين فانهُ لمَّا آنس منهُ القوة والثروة في المديريات الاستوائيَّة استدعاهُ اليهِ الى ام درمان مدعيًا انهُ يريد ان يأمرهُ اوامر شفاهيَّة ورحب بهِ حين قدومهِ ثم استدعاهُ يعقوب اخو الخليفة الى بيتهِ وامر رجالهُ فقبضوا عليهِ فجأةً وكبلوهُ بالقيود وقال لهُ يعقوب هات ارنا قوتك ايها البطل فقال انكم غدرتم بي ولو كنت مطلقاً في ميدان النزال ما وقف امامي مئة مثلك . وانا اعلم الآن انني هالك ولكنكم لستم واجدين مَن يقوم مقامي. ثم امر يعقوب فوضعوهُ في سجن حرج لا يسع غيرهُ وقطعوا عنهُ الطعام ولم يعطوهُ الاَّ قليلاً من الماء فعاش على هذه الصورة ثلاثة وعشرين يومًا ثم مات جوعًا بعد عذاب شديد. ووُجد عندهُ خمسون الف ريال من الريالات النمسويَّة والمجيديَّة وكثير من خواتم الذهب والحلى آلتي غنمها من الاحباش . وكثير من الخيل والجمال والبقر والغنم والعبيد وكان لهُ مئة واربع وستون امرأة وسبعة وعشرون ولدًا فاخذ الخليفة العبيد والمواشي وفرق النساء اللواتي لا اولاد لهنَّ على خواصهِ والنساء اللواتي لهن اولاد زوجهن بعبيدهِ لكي يربو اولاد زكي عبيدًا

ورأى الخليفة في اوائل حكمهِ ان يعزز مقامهُ في عيون الشعب ويقنعهم بانهُ سائر في خطة المهدي مجلٌّ لمقامهِ فبنى على قبرهِ مقامًا كبيرًا وهو بناء مربع طولهُ اثنا عشر مترًا وعلوهُ عشرة امتار وثخن جدرانهِ متران وفوقهُ بناء مسدَّس ارتفاعهُ خمسة امتار وفوق هٰذا قبة ارتفاعها نحو ثلاثة عشر مترًا وزين جدرانهُ من الداخل وعلق فيهِ تريًّا كبيرة اخذها من دار الحكومة في الخرطوم واتى بالحجارة لهذا البناء من الخرطوم وذهب بنفسهِ الى النهر وحمل اول حجر من الحجارة على كتفهِ وكان معهُ ثلاثون الفًا من الاتباع فحمل كلٌّ منهم حجرًا. وقد رسم المقام مهندس مصري من الذين كانوا في خدمة الحكومة المصريَّة قبلاً وبناهُ بناؤون مصريون لكن الخليفة ادَّعى انهُ هو رسمهُ بوحي الهي وان الملائكة كانت تبنيهِ. وبلغ رئيس البنائين ذلك فقال لاتباعهِ ان الخليفة يحسبكم ملائكة ليقنعكم انكم في غنًى عن الاكل والشرب والاجرة. ولحسن حظهِ لم يبلغ كلامهُ اذن الخليفة والاَّ لاطعم لحمهُ الغربان

وخدمهُ السعد في اول حكمهِ وكان رجالهُ يحاربون في سبيلهِ مستبسلين من غيرة دينيَّة واعتقاد راسخ ففتحوا سنار وكسلا وتغلبوا على الاحباش ونجحوا سيفي قمع الثورات الداخليَّة

والايقاع بالثائرين . ولكن نجم سعده مال الى الافول بعد ان تكبد سماءه مدة . فاوّل ضربة كانت عليه ظلمة المفرط الذي اضعف اعتقاد الناس به وحوّل قلوبهم عنه ثم المجاعة المتقدم ذكرها ألّتي اماتت الوف الالوف من اهالي السودان ثم واقعة طشكي مع الجيش المصري ألّتي قُتل فيها ولد النجومي والامراء الذين معه والوف من رجالهم وأُسر من بقي منهم و بلغ عدد القتلى والجرحى والاسرى ستة عشر الفاً . ثم واقعة طوكر ألّتي دُحر فيها عثمان دقنة . وواقعة اغردات ألّتي قتل فيها الامير احمد ولد علي وكثيرون من الامراء و بلغ عدد القتلى فيها الذين قتلهم الايطاليون ثم هاجموا كسلا ففتحوها عنوةً . هذه غاية ما بلغ اليه كتاب سلاتين باشا من كسرات الخليفة ومعلوم ما حدث في الشهرين الماضيين من استيلاء الجنود المصريّة على عكاشة وفركة وسواردة والانخان بالدراويش وقد لا يمضي هذا الصيف حتى تصير الجنود المصريّة امام دنقلة

ويظهر من كتاب سلاتين ان غرض الخليفة الآن الاحتفاظ بما عنده وهو يوصي امراءه ان يلزموا خطة الدفاع فلما حدثت واقعة طشكي أُسقط في يده وظن ان غرض الحكومة فتح السودان كلها وكذا لما أُخذت طوكر وكسلا . ولا ندري ما تكون ظنونه الآن وقد جاهرت الحكومة المصريّة بانها قاصدة اليه

ويظهر لنا من عنايته بسلاتين باشا انه كان يريد ادّخاره لنوائب الايام والانتفاع بخدمته . وقد اغراه مراراً كثيرة بالزواج وعرض عليه مرةً واحدةً من نسائه وهي من الجواري الحسان فاحتال سلاتين على رفضها حيلةً افحمت الخليفة وذلك انه قال له انك تحسبني ابنك وتقول ان هذه من زوجاتك فكيف يجوز للرجل ان يتزوّج بامرأة ابيه . فابدى الخليفة سروره بهذا الجواب وخلع عليه جبته قائلاً خذها فاني قد لبستها مراراً وقد باركها المهدي لي وسيحسدك عليها مئات والوف من الناس فاحتفظ بها تجلب لك الخير . وعرض عليه مرّة اخرى واحدةً من بنات عمه قائلاً اني احسبك واحداً منا بل احسبك صديقاً لي ونصيراً واريد ان اظهر ذلك على رؤوس الاشهاد باعطائك ابنة عمي زوجةً فما تقول في ذلك . فوقع سلاتين في حيص بيص ولكنه تخلص على هذه الصورة قال "يا سيدي الله يبارك فيك و ينصرك على اعدائك اني اعرف قيمة الشرف الذي خولتني اياه بكرمك ولكنني ارجو ان تستمع ما اقول فان ابنة عمك من بنات الملوك بل من نسل النبي ولذلك يجب ان اتعامل بكل احترام وانا لسوء الحظ سريع الغضب واحياناً كثيرة لا اقدر ان املك طبعي فلا بدّ من خصام في بيتي يحملك على الغيظ مني وانا غاية مناي ان تبقى راضياً

عليَّ واسالهُ تعالى ان ابقى مشمولاً برضاك لاني اخاف ان افعل شيئًا يغيظك "

فقال لهُ الخليفة قد عرفتك منذ عشر سنوات الى الآن ولم ارَ فيك شيئًا من حدَّة الطبع وقد اهديتُ اليك نساء كثيرات ولم اسمع شكوى واحدة منهنَّ على اني اعلم انك كنت تهديهنَّ الى خدمك او تطلق سراحهنَّ . ويظهر لي انك تريد ان تبقى سائرًا في خطة قومك ولو ادَّعيت انك منَّا اي انك تريد ان تكتفي بزوجة واحدة . فتنصَّل سلاتين من ذلك على اسلوب حسن واشار عليهِ الخليفة بالخروج فخرج وهو لا يصدق بالسلامة

واثبت سلاتين في كتابهِ فصلين مسهبين في اخلاق الخليفة واطوارهِ وسياستهِ قال فيهما انهُ من التعايشيَّة وهم فريق من البقارة سكان البلاد الَّتي في الجنوب الغربي من دارفور ولما التصق بالمهدي كان في الخامسة والثلاثين من عمرهِ وكان نحيف الجسم شديد العضل ثم سمن كثيرًا لما عاش في الرفاهة والترف . وهو في غالب الاحيان عابس الوجه سريع الغضب شديد النقمة لا رحمة في قلبهِ ولا شفقة . سيئُ الظن جدًّا لا يأمن احدًا . يحب المدح والتملق ولذلك لا يجسر احد ان يكلمهُ الَّا اذا اشار إلى حكمتهِ وقوتهِ وعدلهِ وبسالتهِ وكرمهِ وصدقهِ وويل لمن يقول كلمة تحط من قدرهِ . مثال ذلك ان قاضيًا اسمهُ اسمعيل ولد عبد القادر درس في مصر وتقرَّب من المهدي وكتب رسالة في وصف حروبهِ فاكرمهُ المهدي وامرهُ ان يسجل كل الحوادث في سجل لكي يبقى تاريخًا للسلف وامر امراءهُ ان يبعثوا اليهِ بتفصيل الوقائع للخلفة لكي يسجلها فلما مات المهدي وقام الخليفة بعدهُ امرهُ ان يبقى في عملهِ . وحدث مرةً ان هذا المؤرخ كان مع بعض الندمان فشبَّه السودان بمصر والخليفة بالخديوي اسمعيل باشا وشبه نفسهُ باسمعيل باشا المفتش وبلغ الخليفة ذلك فاستشاط غيظًا وقال لقضاتهِ ان المهدي بمقام النبي محمد وانا خليفتهُ فمن في المكونة كلها مقامهُ مثل مقامي وحاشا لي ان اشبَّه بخديوي تركي فكبَّل المؤرخ بالقيود وامر ان تحرق كتب التاريخ كلها وكان منها نسخ كثيرة فحرقت . ويقال ان واحدًا حفظ نسخة منها سرًّا ولم تزل هناك

وهو من العجب والخيلاء والقسوة على جانب عظيم فيدَّعي ان كل الفوز الذي فاز بهِ امراؤهُ انما كان بقوتهِ وحسن تدبيرهِ . ولا حدَّ لقساوتهِ فانهُ يسرُّ بتعذيب الناس ولذلك تراهُ يقتل هذا ويقيد ذاك ويقطع اوصال ذلك ويتولى على اموالهم ونسائهم وذراريهم . ويسرُّ بالتفريق بين الرجل واهلهِ والام واولادها فاذا اعطاهم لرجالهِ عبيدًا اعطى بعضهم لاهل الشمال وبعضهم لاهل الجنوب حتى لا يجتمعوا ثانية . ووقعت اختا سلطان دارفور في يده فوهبهما لاميرين من امرائهِ جاريتين وكان لاحداها امٌّ عمياء فتضرعت اليهِ ان يسمح

لها بالذهاب مع ابنتها فابى فماتت بعد يومين حسرة . وطرحت ابنتها نفسها في النيل فانتشلوها قبل ان تغرق ولكنها ماتت بعد ايام من العناء والكآبة . وقد قتل الوفا من الابرياء ولا ذنب لهم وقطع ايدي وارجل كثيرين . وأُتي مرةً بسبعة وستين رجلاً ونسائهم واولادهم وكانوا متهمين بالتخلف عن نجدة ولد النجومي فامر ان يقسموا ثلاث فرق فرقة تقتل شنقاً وفرقة تضرب اعناقها وفرقة تقطع ايديها وارجلها من خلاف . ففُعل بهم حسب امرهِ وطاف عليهم بنفسهِ بعد التمثيل بهم ووجههُ طافح سروراً . وقد اثبت سلاتين صورة هذا المشهد في كتابهِ وهو مما تقشعر لهُ الفرائص و يقضي بان البشر اشرس من الوحوش الضارية

ولظلمهِ وغدرهِ يخافهُ كل اتباعهِ وهو لا يسمح لاحد منهم ان ينظر اليهِ فيقفون في حضرتهِ مطرقي الرؤوس خاشعي الابصار ولا يجلسون حتى يأذن لهم بالجلوس فيركعون امامهُ ركوعاً ويبقون في حضرتهِ حتى يشير اليهم بالانصراف . وهو حريص جداً على منع الناس من النظر اليهِ ويدَّعي انهُ يخشى من العين

ولهُ ابن اسمهُ عثمان زوجهُ بابنة اخيه يعقوب لما كان لهُ من العمر سبع عشرة سنة واحتفل بزواجهِ احتفالاً عظيماً خالف فيهِ اوامر المهدي و بنى لهُ بيتاً فخيماً فرشهُ بفاخر الاثاث ثم زوجهُ باثنتين اخريين من اقاربهِ واعطاهُ كثيراً من السراري وهو يراقبهُ بعين الغيرة ورأى منهُ مرةً ما رابهُ فبنى لهُ بيتاً آخر بقرب بيتهِ نقلهُ اليهِ لكي يكون تحت عينيهِ دائماً . وعندهُ اربع مئة زوجة من النساء والسراري وهن من كل امة وقبيلة في السودان . وكن يمتنعن عن التحلي بالذهب والفضة حسب امر المهدي لكنهن خالفن هذا الامر الآن وصرن يتحلين بهما . ويضفرن شعورهن ضفائر صغيرة ويضمخنها بزيوت وادهان يستطبن رائحتها وهي عند الاوربيين من اخبث الروائح . وعندهُ كثير من الخصيان لادارة حرمهِ وتبليغ اوامرهِ الى نسائهِ وسراريهِ

وكان طعامهُ في اول حكمهِ بسيطاً من العصيدة والشواء ثم لما كثرت نساؤهُ وانضم اليهن كثيرات من العارفات بطبخ الاطعمة التركية والمصرية كثرت الالوان في طعامهِ و بلغ من التأنق فيها مبلغاً عظيماً

ولباسهُ جبة بيضاء لها حاشية ملونة وسراويل من القطن وطاقية مكية عليها عمة بيضاء صغيرة وشملة خفيفة يطرحها على كتفيهِ واذا مشى حمل سيفاً بيسارهِ ورمحاً هندوبياً بيمينهِ يتوكأ عليهِ ويمشي وراءهُ نحو ١٥ من الغلمان واكثرهم من اولاد الاحباش

وعندهُ من الجنود بحسب كتاب سلاتين نحو مئة وخمسة عشر الفاً وهم ٣٤٣٥٠ من

الجهادية حملة البنادق و ٦٦٠٠ من الفرسان و ٦٤٠٠٠ من السيافة والرماحة وعنده خمسة وسبعون من المدافع و ٤٠٣٥٠ من البنادق ونصف بنادقه من نوع رمنتون والنصف الآخر قديم وثلث الرماحة والسيافة شيوخ او صغار لا يستطيعون القتال . ومدافعهُ ستة منها من مدافع كروب وهي كبيرة وقنابلها قليلة جدًّا وواحد وستون من النحاس تصنع قنابلها في ام درمان ومداها قصير جدًّا نحو سبع مئة متر

ويستعين على قيام سلطته وتعزيز سطوته بقيامه بشعائر الدين وتوليه الخطابة في الجامع فاذا انتصب للخطبة قال السلام عليكم يا اصحاب المهدي فيجيبونهُ عليك السلام ياخليفة المهدي فيقول ليباركم الله ويحفظكم وينصركم فيقولون آمين آمين وحينئذٍ يشرع في الخطبة فيقول :

يا اصحاب المهدي ما اردأ الدنيا وما اقصر حياتنا فيها ولولا ذلك لبقي فيها النبي والمهدي وسوف نتبعهما فاستعدوا للدار الاخرى ولا تطلبوا ملاذ الحياة الدنيا . اقيموا الصلوات الخمس واقرأوا رتب المهدي وكونوا على اهبة لجهاد الكفار . اطيعوا اوامري اطيعوا اوامري تكن لكم افراح الجنة والذين يعصونها ولا يعبأون بكلامي فهم من اهل النار أُعدت لهم وللكافرين نار جهنم فيها خالدون ... ونحو ذلك من الاقوال ألتي يخلب بها قلوبهم ويتسلط على عواطفهم

وقد نهى عن حج البيت الحرام وامر اتباعهُ بالحج الى قبر المهدي وهم كارهون لذلك ولكنهم مكرهون عليهِ . وسيأتي الكلام في الجزء التالي على هرب سلاتين باشا وما لاقاهُ من العناء

تاريخ الكيمياء

من مقالة لحضرة الاستاذ كرسون بلتون الاميركي (١)

الاستاذ برتلو استاذ الكيمياء في مدرسة باريس الكلية وعضو من اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ووزير المعارف فيها وكان حديثًا وزيرًا للخارجية مشهور عند العلماء في مباحثهِ الكيمارية . وقد اضاف الى ذلك الآن انهُ حرَّر اوسع كتاب في تاريخ الكيمياء وهو كتاب كبير في ست

(١) Berthelot's Contributions to the History of Chemistry. From the Journal of American Chemical Society. by Prof. H. C. Bolton.